رسالة الآداب لأولي الألباب

الإمام المجدد السيد محمد ماضي أبو العزائم
أستاذ الشريعة الإسلامية بجامعة غردون بالسودان (ت 1937م)

محتويات الكتاب

تمهيد

عناية الله باحبابه هى البراق الذى يبلغ بهم أقصى غايات القرب من الجناب المقدس. والعناية الالهية لا تحصر أنواعها ولا تتناها آياتها. قال تعالى:(الله ولى الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور) (البقرة: 257). وقال تعالى: (لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) آل عمران:164).وقال سبحانه:(من يهد الله فهو المهتد) (الكهف:17). وقال تعالى مخبرا عن سيدنا شعيب عليه السلام:(وما توفيقى إلا بالله) (هود:88) وقال ﷻ:(إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون) (الأنبياء 101).وقال تعالى:(يهدى الله لنوره من يشاء) (النور:35) وقال سبحانه:(ومن لم يجعل الله له نورا فما له من نور) (النور:40).

والأحاديث النبوية فى بيان انفراد الحق ﷻ بالعناية والتوفيق والمعونة أكثر من أن تحصى. وكفى المسلم المتبصر تحققا بهذا المقام ما يتلوه كل يوم فى صلاته من قوله تعالى:(إياك نعبد وإياك نستعين). (الفاتحة:5). فإن لهذه الآية الشريفة منازلات لو كوشف بها المصلى لتجلت له الحقيقة جليا..ولفر من حوله وقوته إلى جناب القدس

الأعلى متحققا بعجزه الحقيقعن أن يقوم عابدا لله إلا بمعونة من الله ومنة منه سبحانه.

وليست هذه العقيدة فى العبادة خاصة بل هى فى كل شئون العبد، ولكل مسلم قسط بقدر مشاهدته لهذه الأنوار الربانية. ومنذ خفيت معالم طريق الله باختفاء أهل العلم بالله تشعبت الجماعة وتفرقت الأمة فصاروا شيعا وفرقا، كل يرى الحق باطلا لجهله،ومن جهل شيئا عاداه.

لست فى مقام تقرير سبب تفرقة الأمة إلى شعوب، ولا فى تركيب الدواء لهذا المرض، فإنى سأبسط ذلك إن شاء الله تعالى فى رسالة خاصة تكون محلا لتلك المواضيع الهامة، ولكنى أبين لإخوانى ما كان عليه أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ من الآداب التى أدبهم بها رسول الله ووفقهم الله للتأدب بها، فرضى عنهم وأرضاهم عنه وأحبهم وأحبوه.. تظهر تلك العناية بالعبد من شبابه بل ومن صباه..

*** أعظم أنواع العناية أن يتفضل الله على العبد بتناسب أعضاء بدنه واعتدال مزاجه. وفى الأثر:العقل الصحيح فى الجسم الصحيح.. فإن الأعضاء آلات للنفس،لكل عضو وظيفة يؤديها. ومتى كملت الآلات والأدوات أمكن للنفس أن تقوم بواجبها وتسارع

إلى كمالاتها، وهذا فضل يشهده العالم والجاهل من الله مباشرة بلا تدبير للعبد فيه ولا كسب.

*** ثم أن يهبه الله تعالى نفسا زكية يجملها سبحانه بمعانى الخير فتميل إليه.

***ومن العناية أن ينشأ المسلم بين والدين تقيين عاملين بكتاب الله.

وسنة رسوله فيكونان أعظم إمام له. قال تعالى: (و الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم) (الطور: 21).

** ومنها أن الله يمن على المسلم بالمرشد المتخلق بأخلاق رسول الله ﷺ الممنوح لسان الحكمة.

** ومنها أن ينشأ محفوظا من الفتن الخاصة والعامة.

** ومنها أن يرزقه الله تعالى الحياء من صباه فيستحى أن يتشبه بمن لا خلاق لهم فيشب على التقوى.

** ومنها أن يجعل الله له أصدقاء يعينونه على الخير فتتجمل نفسه التى وهبها الله له بما هى مؤهلة له من جمال أخلاقهم، كالرحمة والبر والصلة والشجاعة والمسارعة إلى عمل الخير واستنكاف عمل الشر حتى يبلغ أشده وقد حفظه الله تعالى مما يشين أهل السلوك.

آداب الشباب

من الشباب تظهر معانى النهايات، ومن لم تكن له بداية محرقة لم تكن له نهاية مشرقة. والشباب هو زمن التحصيل والمسارعة إلى نيل المقامات العلية لعدة معان:

1ـ منها أنه زمن مجاهدة النفس،فقليل الخير فيه يعد كثيرا بالنسبة لنزوع النفس فيه إلى فطرها ولميولها إلى ما جبلت عليه، فيكون عمل الخير فى الشباب كعملين: جهاد للنفس وعمل لله، أو جهاد للنفس نفسه وترك له، فالترك والعمل فى الشباب يقربان العبد إلى الله زلفى بخلاف الترك فى الهرم، فإن الترك فى الهرم ليس طاعة.. فتدبر!!.

2ـ ومنها أن الشباب يعين العبد على القيام بعظائم القربات من الجهاد فى سبيل الله، وإعانة أهل الضرورات، وإعلاء كلمة الله، وتجديد سنة رسول الله، فمن صرف شبابه حتى أضاع زمان التحصيل فى غير كسب ولا نيل الخيرات وظن لجهله أنه يقوم بتلك المعانى فى هرمه فقد فاته الخير كله.

3ـ ومنها أن الشباب به تحصيل العلوم والمعارف، وبه مشاهدات معانى الصفات لتوفير أضدادها فى العبد، فلو أهمل نفسه فى الوقت الذى كان يمكنها أن تتكمل فيه لتوفير آلاتها وأدواتها وظن أنه يكملها بعد فقد تلك الآلات والأدوات فقد جهل سبل الخيرات.

ولذلك فإن أئمة المالكية أوجبوا الحج على الفور، وجعلوا الاستطاعة القوة على المشى والحرفة التى تكون سببا لقوته والرفقة، وجعلوا من أهمل ومات مع توفير تلك االاستطاعة مات موتة جاهلية. قال تعالى:(ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين) (آل عمران:97).

الشباب عناية الله لمن سبقت لهم الحسنى، يجذبهم بها إلى حظيرة رضوانه الأكبر بما يوفقه لهم من جليل أعمال البر وعظيم القربات،فمن أضاع شبابه وظن أن ناج فقد جهل. لا أحظر على فضل الله فإن الله يتفضل على من يشاء، وإنما يثق بفضل الله كل عبد من عباد الله. وأهل العزائم يوفقهم الله لما يحب ويرضى، ويخافون على أنفسهم من عذاب يوم الحساب مع ما أقامهم الله فيه من مقامات حبه ومنازل رضوانه. وقد بين الله لنا سبل القرب منه فى كتابه فقال: (الذين إن مكناهم فى الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر) (الحج: 41).والتمكين فى الأرض أمر نسبى، فمن عافاه الله ومنحه شباب وقوة فقد مكنه فى الأرض بقدره، فإن كان من أهل الحسنى أقام الصلاة وآتى الزكاة وكان عاملا من عمال الله.

أكمل الآداب فى مرحلة الشباب

1ـ أكمل آدابهم فى شبابهم قهر النفس على الحسن من الأعمال ثم مجاهدتها حتى تنطبع على الأحسن، وهى منة من الله تعالى يعجز المؤمن عن شكرها.

2ـ ومنها أن يكثروا من مجالسة أهل الخشية من الله تعالى لتنكبح نفوسهم بما سيسمعونه منهم.

3ـ ومنها صحبة من منحهم الله لسان العبارة، فيبينون جمال الآخرة وملاذها ونعيمها لهم، فتقبح فى أعينهم زينة الدنيا، ثم يسمعون منهم. عذاب الآخرة وآلامها وعذاب القبر وهول البعث والأسباب الموجبة له، فيتمثلون عند لمة الشيطان بقلوبهم من النعيم والفضل العظيم، فيفرون من المعصية خوفا مما يمثلونه أن يحل بهم.

4ـ ومن آدابهم تعظيم الكبير والرحمة بالصغير واحترام النظير. 5ـ ومن آدابهم البعد عما يثير خواطرهم وما يهيج نار غضبهم، حتى إذا شهدوا مثل هذه الأشياء سارعوا إلى مفارقتها أو استرذلوا عامليها، واستنكفوا أن يتشبهوا بهم.

6–وهو قوله–ومنهابذل ما فى الوسع لبر الوالدين إلخ.......

7ـومنها أن الشاب إذا أغضبه أحد أسرع إلى الوضوء، فإذا اشتد غضبه قام فصلى، فإن لم يذهب غضبه فارق المكان معتقدا أنها

توقعه فى نار جهنم إن لم يكظم غيظه، ثم يشكر الله تعالى الذى جعله من الكاظمين الغيظ، ثم يعفو عمن ظلمه ليكون ممن أثنى الله عليهم ومنحهم بقوله تعالى:(والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين)(آل عمران134).

آداب المسجد

الآداب فى المساجد مقاصد أهل النفوس الطاهرة وجمال أهل المشاهد العلية،إذ أنها تصدر عن استحضار عظمة رب البيت، وإجلال البيت ممن دخله لأجله سبحانه لصالح العمل فيه،وشدة الرغبة فى نيل ما يبتغيه ولذلك فإن أهل الله الصالحين يسيحون فى الأرض شرقا وغربا لزيارة عارف أدبه الله بالآداب المحمدية فى مسجده،ولعلك علمت قوله ﷺ:(الله فى قبلة أحدكم ما دام فى صلاته)[رواه أبو داود]. و وعلمت أنه﴿ﷺ﴾ رأى قمامة فى جدار المسجد فغضب حتى أحمرت وجنتاه وحتها بظفره، وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾:(يقول الله تعالى فى الحديث القدسى:إن بيوتى فى أرضى المساجد وإن زوارى فيها عمارها،فطوبى لمن تطهر فى بيته وزارنى فى بيتى، وحق على المزور أن يكرم زائره)[رواه الطبرانى فى الكبير].وقال:(قمامة المسجد مهور الحور العين).وقال الله تعالى: (وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتى للطائفين والعاكفين والركع السجود)(البقرة125).وقال تعالى:(فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والأصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله)(النور37،36) وقال سبحانه وتعالى:(وأن المساجد الله فلا تدعو مع الله أحدا)(الجن:18).

هـذا والمسـجد نوعان: مسـجد خـاص ومسـجد جـامع، فالخـاص مـا جعلـه الإنسـان مصـلى لنفسـه أو لـه ولخاصـين، والمسـجد الجامع ما فتحت أبوابه لكل مصل، ولكل آداب.

آداب المسجد الخاص

أن يطهره من أن تعصى الله فيه بغفلة أو بغيبة أو بسب أو قذف.وله أن ينتفع فيه بعمل المندوبات والمباحات كالأكل والنوم وإكرام الضيف وصلاة النافلة من غيره فى أوقات حلها، ورفع الصوت بالعلم والذكر والصلح بين الناس فى كل وقت.وله أن يمنع من شاء عن دخوله.فإذا ميزه عن غيره فى بيته تمييزا يجعله خاصا بالصلوات فالأولى أن يحييه بركعتين،وأن لا يجلس فيه جنبا، وأن يستحضر عند دخوله أنه بيت الله وأن الله سبحانه حاضر لا يغيب.

ومن آدابه أن يدخله خاشعا راغبا فرحا بدخوله.وأن يخرج منه خاشعا اسفا عند مفارقته معتقدا أنه لولا الضرورة ما فارق بيت الله،حتىيكون من الذين تعلقت قلوبهم بالمساجد.وإذا دخل المسجد أكثر ذكر الله وتسبيحه سبحانه وقراءة كلامه العزيز، واشتغل إما بذكر أو ابتهال أو تنفل بصلاة.

هذه كانت أدابهم فى مساجدهم الخاصة. وقد كان الرجل منهم يجعل له مسجدا خاصا بنفسه يكره أن يجلس معه فيه غيره ليفرغ قلبه من الهم بغير الله ويقبل بكليته على الله. وقد غلب بعضهم على أن يسمى هذا المسجد خلوة.وجهل الناس فى زماننا هذا سر ذلك فصار يجعل الرجل منهم لنفسه حجرة ويسميها خلوة ويدخل فيها

فيترك ما أباحه الله من الطيبات،وما أوجبه الله عليه من السعى فى طلب العلم أو الرزق أو عمل بر أو صلة،ويجلس فيتلو كلمات ربما لا يفقه لها معنى،فتكون خلوته هذه تخليا عن الواجب والسنة،وعملا بما أورده على نفسه من نفسه. ولم يكن السلف الصالح يعملون هذا ولكنهم ﷺ كان الرجل يجعل له حجرة فيسميها مسجدا،ويدخلها بعد أن يكون قد استوفى ما هو واجب عليه، من طلب العلم ومن البر والصلة،ومن نفقة الوالدين أو أهل أو أولاد، فيدخل ويصرف أنفاسه فى تلاوة القرآن الكريم والركوع والسجود، ويبتهل إلى الله أن يزكى نفسه ويطهرها، وتنكشف له حكمة السجود والركوع وأسرار كلام الله تعالى،ويتجلى ربه سبحانه وتعالى لنفسه فى نفسه وله فى كلامه العزيز،فتجتمع همومه كلها وتصير هما واحدا يجذبه حتى يرى ربه سبحانه وتعالى.وقد تكون المساجد الخاصة لحبس النفس عن شهواتها تأديبا لها،أو لقهرها على التوبة والإنابة إلى الله،أو لمجاهدتها ورياضتها لتطيعه وتستجيب لله سبحانه وتعالى..فكلما صرف نفسا من أنفاسه فى مسجده الخاص كوشف بأنوار عزة وأسرار جبروت،وورد عليه قبس من مشكاة الأنوار القدسية فووجه بعظمة وكبرياء وجلال فتحقق بحقيقة عبد،وتجمل بجمال عبودية،وتحلى بحلل

عبودة وتكمل بكمال عبادة... فكان عبدا عاملا.. نعم العبد إنه أواب..

هذه بعض أدابهم فى مساجدهم الخاصة وبعض مشاهدهم التى تشرق عليهم فتجذبهم إلى الاقتراب من الحضرة العلية بالتخلى عن معانى الربوبية، وتحققهم بكمال العبودة والسجود،قال الله تعالى:(واسجد واقترب) (العلق19).فيقترب بالسجود لأن السجود كمال التحقق بالذل والاضطرار والمسكنة للعزيز العلى المتعالى، فيكشف الحجاب سبحانه عن عين عبده ويشهده جماله ويقربه منه سبحانه.

من المأثور فى آداب المسجد الخاص

كـان الرجـل يجلـس فى مسـجده فيحـدث لـه أعظـم الشئون،فإذا هم أن يهتم بهذا الشأن العظيم سطعت لوامع مواجهة الر العظـيم كبـير حاضـر قريـب لم يلـد ولم يولـد ولم يكـن لـه كفـوا أحد،فيقول:أعوذ بالله من هذا الوارد.وقد يخرج من كل ماله أو يفر من ملكه،لأنـه خطـر علـى قلبـه فى وقـت المواجهـة وكـاد يقطعـه عـن الله،فيخشى أن يقطعه فيتبرأ منه اتباعا لعمل رسول الله ﴿ﷺ﴾ بسند البخارى عن عقبة بن الحارث قال: صليت وراء النبى ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ بالمدينة العصر فسلم،ثم قام مسرعا فتخطى رقاب الناس إلى بعض حجر نسائه ففزع الناس من سرعته،فخرج عليهم فرأى أنهم عجبوا من سرعته،فقال ﴿ﷺ﴾:ذكرت شيئا من تبر عندها فكرهت أن يحبسنى فأمرت بقسمته.

ذكـر ﴿ﷺ﴾ التـبر (الـذهب) فى الصـلاة فأسـرع عقـب السلام يتخطى الصفوف حتى أخرجه من ملكة خشية أن يحبسه، أى يشغله، لكـى يسـن لنـا ﴿ﷺ﴾ أن نقـف فى الصـلاة موقـف مـن لا يشغله شىء غير ربه، فإذا شغله شىء عن مواجهته أنفقه فى سبيل الله سبحانه، كما قال الخليل على نبينا ﴿ﷺ﴾ (فإنهم عدو لى إلا رب العالمين) (الشعراء:77).وكما فعل صاحب رسول الله ﴿ﷺ﴾ عندما

وقـف يصـلى فى حـائط لـه (بسـتان)فرأى فى صـلاته عصـفورا بـين الأشجار الملتفة حاول أن يخرج فلم يستطع لتكاثف الأشجار،فانشرح صدره وهو فى صلاته بما شهد من مواجهة العلى العظيم،وكاد يذوب قلبه حسرة على نفسه التى التفتت وهو مواجه لربه فاشتغل بغير من هـو موجـه وجهـه إليـه فى مسـجده وبـين يـدى ربـه، وخـرج مـن صـلاته مسرعا إلى أمير المؤمنين عثمـان بـن عفـان فقـال: يا أمـير المؤمنين إنى خرجـت مـن حـائطى (الفلانى)فاجعلـه فيمـا يحبـه الله، فسـأله أمـير المؤمنين، فأخبره وهو يبكى، فجعله أمير المؤمنين فى نفقة للجهاد.

هكـذا كـانوا ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إذا وقـف الرجـل مـنهم فى مسـجده الخاص حجبت أنوار العظمة والكبرياء كل شىء سوى الله، فإن خطر على قلوبهم مال أو ملك،خرجوا منه فارين إلى الله، وجعلوه فى منفعة المسلمين..

آداب المسجد العام

لا أتعـرض لـلآداب العامـة كتـب الفقـه فصـلتها، كتحيـة المسجد، وترك المرور فيه، والجلوس للجنب، وكعدم البيع والشراء فيه، وتـرك البحـث والسؤال فى المسـجد عمـا ضـاع فى غيره،وتحـريم البصـاق تجـاه القبلة،وكراهـة أكـل الثـوم والبصـل للمتوجـه للمسـجد،والترغيـب فى

النظافة والطيب.. كل هذه الآداب قد بينت فى كتب الفقه،إنما أريد أن أبين الآداب الخاصة بالخواص، ملاحظا فى ذلك ما كان عليه أصحاب رسول الله صلوات الله وسلامه عليه وعليهم.

معلوم أن دخول المسجد إما واجب عينا،أو سنة مؤكدة،أو مرغب فيه، فيكون واجبا عينا لصلاة الجمعة، وسنة لصلاة الفرائض جماعة، ومرغب فيه لذكر الله وقراءة القرآن والتنقل بالصلوات.

أما آدابهم فى دخول المسجد فى وقت الوجوب فكان الرجل منهم يعتقد أن ربه سبحانه وتعالى أمره بالحضور إليه،فيخرج من بيته ليقابل مولاه ﷻ، عن أمره له بالحضور، ويخرج لا يدرى أيوفقه لعمل ما يرضيه عنه أم يقدر عليه ما يسخطه عليه، فيخرج من بيته خاشع القلب وجلا، وكلما قرب من المسجد اشتد خوفه.

كانوا لا يدخلون المسجد إلا على طهارة من بيوتهم، فإذا دخلوا المسجد صار كل واحد منهم بين مشهدين، كما قال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد].فيكون إما شاهدا لربه أو على يقين حق أن الله عالم به ناظر إليه حاضر معه، فيفتتح بتحية المسجد ثم يجلس غاضا بصره عن

الالتفات الذى يشغل قلبه عن استحضار الشأن الذى هو فيه من جلوسه فى بيت الله بأمر الله بين رغبة فى نيل القبول والرضا، ورهبة من الرد والغضب. ومن كان كذلك أغناه شأنه الذى هو فيه عن كل الشئون،وكيف يشغل من رأى ربه أو من يعتقد أنه رآه عن شىء أخر؟!..هذا مستحيل فإن الإنسان العاقل إذا سلب القط دجاجة من أمامه ترك الطعام وفر وراءه حتى يستنقذها منه أو يعجز غير ملتفت لشىء مهما عظم،فإذا كان المستنقذ الدجاجة من القط لا يشغله شان عن شأن..فكيف يشتغل من رأى ربه أو من أيقن أن ربه مطلع عليه فى الصلاة بشىء أخر؟!..فكان بعضهم يجلس للمراقبة حتى يؤدى فريضة الجمعة، وبعضهم يجلس يسأله الناس عن أمر دينهم ويتحلق حوله الناس. كان الرجل منهم يكره أن يشغل أخاه لعلمه أن كل إخواته فى المسجد مشتغلون بما يقربهم إلى من هم فى بيته من الآداب والعمل.

آداب دخول المسجد والجلوس فيه

كان أصحاب رسول الله أحرص الناس على التبكير إلى المساجد، فمن بكر أسرع إلى الصف الأول، ومن لم يبكر جلس حيث ينتهى به المجلس ولو فى أخريات المسجد كراهة أن يفرق بين اثنين، أو يشغل جالسا مشغولا بذكر الله، أو يتخطى رقاب الناس فيشتغل عن آداب المسجد، ويشغل قلب غيره عن المراقبة. كان الرجل منهم يكره أن يتحرك له أخوه ليفسح له فى المسجد حرصا على راحة أخيه. وكان الجالس إذا رأى أخاه مقبلا فسح له فى المجلس دون أن يتكلم أو يشير، لأن السكينة والخشوع لا يفارقانهم رضى الله عنه. وقد بلغ بهم الخشوع فى المسجد مبلغا حتى أنه كان يدخل عليهم فيه اليهودى أو النصرانى فيكاد يذهب عقله أو يصعق ويغشى عليه من هيبة الصحابة فى خشوعهم وسكينتهم وقت انتظار الصلاة أو فى الصلاة، وربما سارع إلى الإسلام. وكم من أسير شهد الصحابة يصلون ـوكان أشد الناس نفورا من الإسلام ـ فملأ الله قلبه نورا، وأقبل على الإسلام بإخلاص. وما تعلم الصبيان الخشوع لله والحب لله والمسارعة إلى مراضى الله تعالى إلا بجلوسهم مع آبائهم فى المسجد وشهود ما عليه آباؤهم. وكانوا يجذبون قلوب الكفار بسمتهم وهديهم وخشوعهم

لربهم فى مساجدهم،ويجملون الصبيان بالفضائل الإسلامية حتى ينشأ الصبى كوالده.

كانوا ممن قالوا:(واجعلنا للمتقين إماما)(الفرقان:74).فاستجاب الله تعالى لهم فجعل كل واحد منهم ﴿ﷺ﴾ إماما لأهله وأبنائه وجيرانه،يكون الرجل واحدا وله صورا لا تحصى،تراه فى جميعها كما تراها حين مشاهدته.

كانوا إذا ارتقى الخطيب المنبر أمسكوا عن الصلاة وأخذوا فى ذكر الله بالقول والفكر،واشتدت رغبتهم فيما عند الله والمسارعة إلى ما ينالون به رضوانه،معتقدين أنه ربما لا يطول عمرهم حتى يدركوا جمعة ثانية،فيجهدون أنفسهم أن يفوزوا بعفو الله وغفرانه،فإذا ابتدأ الخطيب أن يتكلم أمسكوا عن الكلام وأقبلوا بكليتهم مواجهين له لأن السماع فرض،فكنت ترى حسن الإصغاء رضى الله عنهم منهم لما يعلوهم من اقشعرار جلودهم وتقاطر دموعهم وخشوع ظاهرهم عند التخويف،وانبساط وجوههم وإشراق أنوارها عند البشائر والرحمة، فتراهم كأنهم بين مستغفر نادم،و محوقل خائف،وحامد فرح،وشاكر طالب للمزيد. كل ذلك تظهر دلائله حالا لا مقالا،فإذا أتم الخطيب خطبته ونزل وقف كل مسلم موقف من يريد أن يمتع أخاه بالراحة وخير المجلس. وفى أقل من نفس تراهم اصطفوا كصفوف الملائكة

لحاهم على صدورهم وأبصارهم تنظر لأقدامهم،كأن القوم وقفوا للحساب أمام رب العالمين وقد أشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجيء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون. ولا غزو فإن المسلم إذا وقف للصلاة،استحضر هذا المشهد أو مشهدا فوقه قبل دخوله للصلاة ليصلى صلاة من واجه ربه، أو صلاة من يعتقد أنها أخر صلاة له. كانوا يقفون فى الصلاة فتنزل الطيور عليهم وتمكث فلا تحس بأنهم أحياء إلا عند تحريكهم لفرض من فرائض الصلاة، فإن كانوا وقوفا وقف الطير على رءوسهم حتى يركعوا كأنهم البنيان المرصوص.لم يكن ذلك إلا لما تفضل الله به عليهم من كمال الخشوع،وما أنزل عليهم من السكينة،حتى صارت صفوفهم فى الصلاة فوق صفوف الملائكة حول العرش،فإذا قال الإمام:الله أكبر . وكانت القلوب فارغة مما سوى الله مقبلة بالكلية على الله . أشرقت أنوار الكبرياء والعظمة على تلك القلوب الوجلة فملأتها خشوعا قال الله تعالى: (قد أفلح المؤمنون الذين هم فى صلاتهم خاشعون) (المؤمنون 1،2)..

آداب السفر

آداب السفر سبعة هى:

الأول:أن يبدأ برد المظالم وقضاء الديون وإعداد النفقة لمن تلزمه نفقته،وبرد الودائع إن كانت عنده،ولا يأخذ لزاده إلا الحلال الطيب ليأخذ قدرا يوسع به على رفقاته.وقال ابن عمر رضى الله عنهما:من كرم الرجل طيب زاده فى سفره.ولابد فى السفر من طيب الكلام وإطعام الطعام وإظهار مكارم الأخلاق، فإنه يخرج خبايا الباطن.ومن صلح لصحبة السفر صلح لصحبة الحضر.عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه:بينما نحن فى سفر مع رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ إذ جاءه رجل على راحلة،فجعل يضرب يمينا وشمالا،فقال رسول الله ﴿ﷺ﴾:(من كان معه فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له، ومن كان له فضل زاد فليعد به على من لا زاد له) قال: فذكر من أصناف المال حتى رأينا أنه لا حق لأحد منا فى فضل.[رواه مسلم وأبو داود وأحمد].

الثانى: أن يختار رفيقا فلا يخرج وحده، فالرفيق ثم الطريق، وليكن رفيقه ممن يعينه على الدين، فيذكره إذا نسى، ويعينه ويساعده إذا ذكر، فإن المرء على دين خليله،ولا يعرف الرجل إلابرفيقه. وقد

نهى ﷺ عن أن يسافر الرجل وحده وقال: الثلاثة نفر، وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾:(وليؤمروا أحسنهم أخلاقا، وأرفقهم بالأصحاب، وأسرعهم إلى الإيثار وطلب الموافقة)[رواه أبو داود].عن عبد الله بن مسعود قال: كنا يوم بدر كل ثلاثة على بعير، فكان أبو لبابة وعلى بن أبي طالب زميلى رسول الله ﴿ﷺ﴾ قال: فكانت إذا جاءت عقبة رسول الله قالا: نحن نمشى عنك، قال: (ما أنتما بأقوى منى وما أنا بأغنى عن الأجر منكما) [رواه أحمد]. الثالث:أن يودع رفقاء الحضر والأهل والأصدقاء،وليدع عند الوداع بدعاء رسول الله قال بعضهم:صحبت عبد الله بن عمر رضى الله عنهما من مكة إلى المدينة، فلما لقمان:إن الله تعالى إذا استودع شيئا حفظه، وإنى أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك) [رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد].وقال رسول الله ﴿ﷺ﴾ (إذا أراد أحدكم سفرا فليودع إخوانه فإن الله تعالى جاعل له فى دعائكم البركة) [رواه الطبرانى فى الأوسط].عن عمر بن شعيب عن أبيه عن جده أن رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ كان إذا ودع رجلا قال:(زودك الله التقوى وغفر ذنبك ووجهك إلى الخير حيث توجهت).

الرابع:أن يصلى قبل سفره صلاة الاستخارة وهى أربع ركعات،فقد روى آنس بن مالك أن رجلا أتى النبى ﴿صلى الله عليه

وآله وسلم﴾ فقال:إنى أنذرت سفرا وقد كتبت وصيتى فإلى أى ثلاث أرفعها:إلى ابنى أم أخى أم أبى؟فقال النبى ﴿ﷺ﴾ وسلم: (ما استخلف عبد فى أهله من خليفة أحب إلى الله من أربع ركعات يصليهن فى بيته إذا شد عليه ثياب سفره،يقرأ فيهن بفاتحة الكتاب وقل هو الله أحد ثم يقول:اللهم إنى أتقرب بهن إليك فاخلقنى بهن فى أهلى ومالى،فهى خليفته فى أهله وماله،وحرز حول داره حتى يرجع إلى أهله).

الخامس:إذا حصل على باب الدار فليقل:بسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله،رب أعوذ بك أن أضل أو أضل،أو أزل أو أزل، أو أظلم أو أظلم،أو أجهل أو يجهل على.فإذا مشى قال:اللهم انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت وإليك توجهت،اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى فاكفنى ما أهمنى وما لا أهتم به وما أنت أعلم به منى،عز جاهك وجل ثناؤك ولا إله غيرك،اللهم زودنى التقوى واغفر لى ذنبى،ووجهنى للخير أينما توجهت.فإذا ركب الدابة فليقل ما كان يقول ﴿ﷺ﴾.عن ابن عمر أن رسول الله ﴿ﷺ﴾ كان إذا استوى على البعير خارجا إلى سفر كبر ثلاثا ثم قال:(سبحان الذى سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون)[رواه أبو داود والترمذى].ثم يقول:اللهم إنا نسألك فى سفرنا

هذا البر والتقوى،ومن العمل ما ترضى،اللهم هون علينا سفرنا هذا، اللهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل والمال،اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر وكآبة المنقلب وسوء المنظر فى المال والأهل.فإذا رجع قالهن وزاد فيهن:آيبون تائبون لربنا حامدون.وقال:اللهم بارك لأمتى فى بكورها.ويستحسن أن يبتدىء فى الخروج يوم الخميس، وروى أبو هريرة أنه ﴿ﷺ﴾ قال: (اللهم بارك لأمتى فى بكورها يوم خميسها) [رواه أبو داود و الترمذى والدرامى وابن ماجه وأحمد].

السادس: والتشييع للوداع مستحب وهو سنة،قال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ (لأن أشيع مجاهدا فى سبيل الله فأكتنفه على رحلة غدوة أو روحة أحب إلى من الدنيا وما فيها) [رواه ابن ماجه وأحمد].

السابع: أن يرفق بالدابة إن كان راكبا، فلا يحملها مالا تطيق، ولا يضربها فى وجهها فإنه منهى عنه، ولا ينام عليها فإنه يثقل بالنوم وتتأذى به الدابة. كان أهل الورع لا ينامون على الدواب إلا غفوة، وقال ﴿ﷺ﴾:(لا تتخذوا ظهور دوابكم كراسى فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس،وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم)[رواه أبو داود].قال ﴿ﷺ﴾:(إذا سافرتم فى الخصب فأعطوا الإبل حظها من

الأرض،وإذا سافرتم فى السنة فأسرعوا عليها السير،وإذا عرستم بالليل فاجتنبوا الطريق فإنها طرق الدواب ومآوى الهوام بالليل)[رواه مسلم وأبو داود والترمذى وأحمد]. ويستحب أن ينزل عن الدابة غدوة وعشية يروحها بذلك فهو سنة،وفيه آثار عن السلف. وكان بعض السلف يكترى بشرط أن لا ينزل ويوفى الأجرة.ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا إلى الدابة.ومن آذى بهيمة بضرب أو حمل ما لا تطيق طولب به يوم القيامة،إذ فى كل كبد حراء أجر.قال أبو الدرداء رضى الله عنه لبعير له عند الموت:أيها البعير لا تخاصمنى إلى ربك فإنى لم أك أحملك فوق طاقتك.

وفى النزول ساعة صدقتان:إحداهما ترويح للدابة، والثانية إدخال السرور على قلب المكارى.

آداب المجالسة

اختلف أئمة الفرقة الناجية فى: هل الاجتماع على الخلق مع السلامة منهم خير؟أم العزلة عن الناس خير؟..فكان رأى أكثرهم

أن الاجتماع بالخلق مع السلامة منهم صفة الكمل المتمكنين المتجملين بالأخلاق،لأن اجتماعهم على الناس يكسبون به مكاسب روحانية منها: تحملهم أذية الخلق،ومنها بذل النصيحة للعالم،وفضل العلم والجاه والمال،والسعى فى الإصلاح،ودفع المظالم، كل ذلك بعد الجهاد فى سبيل الله،ولا يستوى القاعد والمجاهد فى سبيل الله عند الله.وأما الذين اعتزلوا الخلق فإنهم فضلا عن تركهم القيام بما لابد لهم منه من طلب العلم والمعاش وشهود الجماعات ومعاونة أهل الحاجة،فإنهم فى عمل كثيره لا يساوى قليل العمل مع الناس،إلا إذا كانت معاشرة الناس تؤدى إلى ما يغضب الله تعالى فالعزلة خير.

وتفصيل هذا الموضوع:أن من قوى على معاشرة الناس وتمكن من السلامة منهم،فالأولى له الاجتماع على الناس،ومن لم يقو على معاشرتهم فالأولى العزلة له إلا ما لابد منه.ولما كان على كل مسلم لكل مسلم حق تقتضيه الشئون، وكانت تلك الحقوق تسمى الآداب الإسلامية التى يسارع لها من تزكت نفسه،وتأدب بآداب القرآن الكريم أرى أن المسلم يجاهد نفسه الجهاد الأكبر حتى يتأدب بالآداب المحمدية، وأن يجتهد أن يعاشر الناس ويجالسهم لينتفع وينفع ويتمرن على المجتمعات التى تكسبه الثواب فى الآخرة وحسن الأحدوثة فى الدنيا، خصوصا إذا كان مطالبا بنفقة لزوجة وأولاد وأقارب،أو كان

عالما أوذا صنعة مفيدة لإخوته المؤمنين،فيجب عليه أن يجاهد نفسه حتى يكون متجملا بالأخلاق التى تجعله محبوبا عند الناس.أما من كان مسترشدا على يد المرشد فهو مع الأستاذ بالخيار: إن أمره الأستاذ بالعزلة بادر إليها،وإن أمره بمعاشرة الخلق ومجالستهم سارع إليها.

ولما كانت الآداب التى تجملت بها الفرقة الناجية من التشبه برسول الله ﷺ وكان ﷺ الرءوف الرحيم بعشرانه وجلسانه،الحريص على تأليف القلوب عليه،كان الواجب على كل مسلم أن يتأدب بتلك الآداب الفاضلة،وأن يتجمل بتلك الأخلاق الكاملة حتى يفوز بجميل الثواب يوم القيامة، ولسان الصدق فى الآخرين.

آداب حسن المجالسة

أما حسن المجالسة فقد قال رسول الله ﷺ:(إنما يتجالس المتجالسان بالأمانة) [رواه الشيخ عن ابن مسعود]. فلا يحل لأحدهما أن يفشى على أخيه ما يكره. وآدابها:

1ـألا يعين ظالما على ظلمه،ولا يفتح باب شر على أحد من الناس أمام من يمكنه أن يؤذيه، ولا يذكر غائبا بسوء إلا إذا كان متفضحا وسئل عنه سبيل نصيحة أو مشورة..

2ـ ويلزم أن يغض بصره فى المجالس عن عورات المجلس، خصوصا إذا جلس مع رجال ونساء،فيجب عليه أن لا يحدق ببصره إلى النساء،ولا يصغى بأذنيه إلى اثنين يتكلمان فى المجلس إلا إذا دعياه إلى سماع الكلام.

3ـأن لا يتكلم سرا مع جليسه إذا كان معهما ثالث فإن ذلك يحزنه، ولا يتكلم بلغة لا يفهمها الثالث، وليتجنب اللمز والهمز والإشارة باليد أو بالعين أو باللسان قال الله تعالى:(يا أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب

بئس الاسم بعد الإيمان ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون) (الحجرات: 11)

4ـوعلى كل مسلم أن يكون بشوش الوجه لمجالسيه ما داموا فى خير،فإذا تكملوا فى غير الخير فالواجب عليه أن يذكركم بحكمة، ويبين لهم شر التكلم فيما يضر ولا ينفع،أو يصمت إن خاف عنادهم، أو يفارق المجلس إن كان ذلك لا ضرر فيه عليه.

5ـ أن يجتهد المسلم فى إدخال السرور على جليسه بقدر استطاعته، فلا يذكر عورة من عوراته يريد بها احتقاره، ولا ينتقد عليه فى عمل مباح عمله.قال ﴿ﷺ﴾: (إن الرجل ليقول الكلمة فى المجلس لا يلقى لها بالا يضحك بها الناس يهوى بها فى النار سبعين خريفا)[رواه البخارى ومسلم والترمذى ومالك وأحمد].

وجلساء الرجل:إما أن يكون مضطرا أن يجالسهم أو غير مضطر. أما الذين لابد من مجالستهم كمن معه فى مزرعته أو مصنعه، أو شركاؤه فى تجارته،أو معه فى بيت واحد،فإخوانك الذين معك فى المزرعة أو المصنع أو التجارة يلزمك أن تجتهد فى استجلاب مودتهم لك وحبهم، بما يمكنك مما لا يغضب الله سبحانه وتعالى ولا يخالف السنة، ويجب عليك أن تحفظ لسانك عن ذكر عوراتهم وهفواتهم أمامهم أو خلفهم، فإن كل إنسان لا يخلو من عيوب يجتهد أن يخفيها

عن الناس ولكنها تظهر قهرا عنه. وكما أنك يا أخى تحب أن تخفى صغائرك وهفواتك عن الناس،وعنه فى حضوره ما دامت لا تضره دنيا ولا دينا، فإن كانت تلك الأعمال مما يضره دنيا أو دينا فالواجب عليك أن تختلى به وتنصحه بطريقة يقبلها لا تريد بذلك احتقاره ولا تهديده والتنديد به.

6ـومن أكمل صفات رجال الفرقة الناجية أن يحفظوا أسرار المجالس.ومن أقبح صفات أهل النقائص أن الرجل يجلس فى المجلس ثم يقوم منه فينشر أخباره لكل من لقيه.وقد يبلغ الجهل ببعض الحمقى أنهم يتشرون معاصيهم ورذائلهم حتى خلوتهم بنسائهم.يقول ﴿ﷺ﴾ (المجالس بالأمانات) [رواه الخطيب فى التاريخ عن سيدنا على كرم الله وجهه].

وورد أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أسبل الله عليه ستره فكشف عنه ستر الله.ومعنى ذلك أن الرجل يعمل المعصية ليلا أو فى خفاء عن الناس ثم يخرج فيذكر عمله للناس.

7ـأن لا يتجسس المؤمن ولا يتحسس، وأن يجتهد أن يجعل فى كل مجلس جلس فيه عملا صالحا يرفع له من ذكر الله،أو نصيحة أخ،أو رد غيبة عن أخ صالح، أو توبة عن ذنب عمله فى المجلس.

8ـأن يتباعـد الرجـل عـن الجلـوس بجـوار زوجـة غـيره، ولا يسارع إلى قضاء حوائجها ما دام معها محرما لها.وإذا دعت الضرورة أن يتكلم معها يجب أن يجعلها خلفه على يمينه أو يساره إذا كان واقفا، وإن كان جالسا يجب أن يجلسها إن استطاع فى الجهة التى لا تكون مواجهة له،بل يجعل محل نظره الجهة التى لا يراها فيها. وإن دعت الضرورة أن يواجهها بوجهه فعليه أن يغمض بصره أو يطأطأ رأسه أو يلفت عنقه، فإن عمله هذا مرضاة لله مُحَمَّدة عند الناس موجبة لمحبة الخلق وثقتهم، موجبة لكمال حياء المرأة،فإن الأصل فى المرأة الحياء،وإنما يقوى عندها إذا تجمل الرجل به أمامها.

9ـأن لا تختلى بامرأة أجنبية منك مهما وثقت من نفسك،فإنك أعلم بنفسك من غيرك. فإذا كنت واثقا من نفسك أن خلوتك بها لا تشغل قلبك ولا تنقض وضوءك لما تراقبه من الخوف من الله سبحانه ومن عقوبته، فهل المرأة بلغت ذلك؟فإن لم تخف على نفسك يا أخى فخف عليها أن توقعها فى المعاصى.

10ـان يجلس الصبيان وراء الظهور،وأن يترك الرجل البسط مع الصبيان مطلقا إلا مع ابنه أو ابن أخيه أو من له به نسب من سن السنة الخامسة،حفظا لآداب الصبى وبعد عن التشبه.

11ـأن يجتهد المسلم فى حفظ لسانه مما يخجل من ذكر العورات، وإذا كان لابد من ذكر شيء من العورات فليعبر عنه بكناية أو إشارة. 12ـأن لا يطمع فيما فى يد أخيه ويجتهد أن لا يخسره شيئا مما له، والأولى أن يكون متفضلا مسارعا إلى فعل الخير مساعدا أخاه بماله ونفسه،فإن ذلك من أخلاق المؤمنين الذين يمنحهم الله فضله ورحمته ورضوانه.

13ـأساس المجالسة التسامح،فإن الرجل المتسامح الكريم الأخلاق إذا سمع كلمة من مجالس تكدره،أو رأى عملا يكدره،حمله من أخيه على أجمل محامله فيدوم بذلك الصفاء.ومعلوم أن أكثر الخصوصات والمنازعات قد تنتج من كلمة يقولها الجليس لجليسه بسلامة نية،فيردها عليه بحماقة ويتأولها شر تأويل فتوقد نار البغضاء،ومعظم النار من لمستصغر الشرر،فقد يقول الأخ الكلمة الثقيلة على آذن أخيه لا يقصد بها إلا خيرا.ولو حمل الأخ كلمة أخيه على أجمل محامله لدام الصفاء والوفاء،ولكان المسلمون كالجسد الواحد كما شبههم رسول الله ﴿ﷺ﴾.وأن اللسان شر أبواب جهنم.يقول ﴿ﷺ﴾:(وهل يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم)وقال الله تعالى:(ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل

حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون.ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثبت من فوق الأرض ما لها من قرار.يثبت الله الـذين آمنـوا بالقـول الثابـت فى الحيـاة الـدنيا وفى الآخـرة ويضـل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء)(إبراهيم 27.24).

المجالس التى ابتدعها الناس

وقد ابتدع الناس مجالس يقتلون فيها أوقاتهم ويسودون فيها صحفهم، أما أنهم يقتلون فيها أوقاتهم،فإنها ليست لعمل فى الدين ولا فى الدنيا، وكفى الإنسان العاقل المطالب فى كل نفس بحق متعته،أن يأتى يوم القيامة وفد ترك القيام بواجب أوقاته.

وأما كون تلك المجالس تسود الصحف،فلأنهم يجلسون فيها إما لشرب المحرم،أو للتعاون على الأثم والعدوان، أو لكشف عورات الناس، أو للفخر والرياء،وقد عظمت البلية، حتى كثرت تلك الأماكن المعدة لتلك المجالس،،وصارت مفسدة للأخلاق،فإن شياطين الإنس جعلوا لها أماكن فى المواضع العامة،وأعدوا فيها كل منكر من طعام وشراب، ونساء متبرجات وغلمان،كل ذلك مصائب لإلقاء المسلمين فى مهاوى غضب الله تعالى،حتى صار سخيف العقل يخرج من بيته الطلق الهواء،الجميل الفراش والرياش،وهو أمر مطاع، فإذا سئل إلى أين

؟ يقول: أستنشق الهواء،فيذهب إلى بؤرة فساد فى وسط شارع،تنبعث منه روائح القاذورات،وأنفاس المارة،وتعلو به الضوضاء بأصوات السوقة،فيجلس وعلى يمينه مواقف السيارات وعلى يساره روث الحيوانات،فيستنشق هواءا ممزوجا،ودينه وجاهه،ويشرب فى أقداح تنفس فيها المرضى بالأمراض القتالة،وربما جلس بجواره مريض بمرض يجب شرعا الفرار منه، يجلس المسلم بهذا الحال فى هذه الجالس،فيسمع الظهر، والعصر، والمغرب،والعشاء، ينادى لها المؤذن،وكأنه أصم لا يسمع،وبهيم لا يعقل.

وعندى أن المساجد الآن أنقى هواء من الملاهى، وأدعى لانشراح الصدر،ولترويح النفس،فإن المسلم إذا توجه إلى المسجد،يستنشق هواء جيدا نقيا،لأن المساجد غالبا تكون فى الأماكن البعيدة عن القاذورات، وتكون كثيرة النوافذ، ويجد فيها المسلم من يجالسه فيها دينا وخلقا وأدبا ويجد فيها من يثنى عليه ويحبه لقيامه بما فرض الله عليه،ويتعرف فيه بإخوان الصدق،الذين يكونون جمالا له فى غناه،ومالا له فى فقره، يسألون عنه إن غاب،ويثنون عليه، ويسرون به إن حضر،ويخلصون له.

فيا أيها الأخ التارك لقصرك،الذى جمع أنواع مسراتك،التارك لبيت ربك الذى به نيل سعادتك فى الدنيا والآخرة

المسارع إلى الملاهى، ما الذى اكتسبته من العلم أو الجاه أو الصحة ؟!ومن هم الإخوان الذين تكتسبهم فى الملاهى؟ ! وهم أخدانك ما دامت غنيا قادرا على مساعدتهم، فإذا دعت الضرورة ـ ولا يخلو إنسان من الضرورة ـ كانوا عليك لا لك. كل هذا فى الدنيا وفى الآخرة عذاب شديد،وخصومة بينك وبينهم وعداوة شديدة.

إذا أردت يا أخى أن تؤاخى إخوان صفاء وخلان وفاء فاجتهد أن تصطفى لك إخوانا من المساجد ومن مجالس العلم النافع ومن أهل التقوى.وكل أخ غير هؤلاء فهو مرض ينبغى أن يفارقه الإنسان بحكمة حكيم،خصوصا شياطين الإنس الذين يعينون على معصية الله ومخالفه رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ فإنهم ألد الأعداء وأسوأ الجلساء. وقد أمرنا الدين بالاجتماع وعين لنا مكان الاجتماع وزمانه لتدوم صحتنا ونجدد بهجتنا وتقوى أمتنا. قال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: (ثلاثة من المروءة فى الحضر: تلاوة كتاب الله عز وجل وعمارة مساجده، واتخاذ الإخوان فى الله تعالى). وكان سعيد بن العاص يقول:لجليسى على ثلاث،إذا دنا رحبت به،وإذا حدث أقبلت عليه،وإذا جلس أوسعت له.وقال أبو جعفر مُحَّد بن على لابنه جعفر عليهم السلام:لا تصحبن من الناس خمسة واصحب من شئت: الكذاب فإنك منه على غرور وهو مثل السراب يقرب منك البعيد

ويبعد منك القريب،والأحمق فإنك لست منه على شىء يريد أن ينفعك فيضرك، والبخيل فإنه يقطع بك أحوج ما تكون إليه،والجبان فإنه يسلمك ماله ونفسه عند الشدة، والفاجر فإنه يبيعك بأكلة أو بأقل منها، قلت: ومأأقل منها ؟ قال: الطمع.

وقال بعض الحكماء:عاملوا الناس بمحض المودة،وعاملوا العامة بالرغبة والرهبة، وسوسوا السفلة بالمخافة، ومثل جملة الناس كمثل جملة الشجر:

منهم من له ظل وليس فيه ثمر،وهذا الذى فيه نفع من الدنيا ولا ثمر له فى العقبى ويحتاج إليه فى وقت.

ومنهم من فيه ثمر وليس له ظل،وهذا يصلح للأخرة ولا يصلح للدنيا.

ومنهم من فيه ظل وثمر،فهذا الذى يصلح للدين والدنيا وهو أعزها.

ومنهم من لا ظل له ولا ثمر،وهذا هو الذى لا يحتاج إليه فمثله فى الشجر مثل شجر الغضا (وهو شوك البرية التى تسميه العامة أم غيلان) يمزق الثياب لا طعام فيه ولا شراب،فهذا فى الناس يضر ولا ينفع ويكثر ولا يدفع مثله كما قال الله تعالى:(يدعو لمن ضره أقرب من نفعه لبئس المولى ولبئس العشي ر) (الحج13).

أهل الفرقة الناجية من الصوفية:

يخافون الله فى خلقه ولا يخافون الخلق فى الله.

ويحبون الله فى خلقه ولا يحبون الخلق فى الله.

ويتقربون إلى الله فى خلقه ولا يتقربون إلى الخلق فى الله.. فهم فى جميع أحوالهم يعاملون الله فى خلقه.

منحهم الله الرأفة والرحمة بالوراثة من رسول الله والمحافظة على كمال اتباعه ﷺ والاقتداء به،فتراهم يحرصون فى مجالستهم مع الخلق ومعاشرتهم على الفوز برضوان الله الأكبر ببذل ما فى وسعهم من الخير لجليسهم وعشيرهم،فهم العلماء الرحماء الحلماء الحكماء.يراقبون الله فى كل أنفاسهم ولحظاتهم،ويسارعون إلى مغفرة من ربهم وجنة عرضها السموات والأرض،ويتعاونون على البر والتقوى. قال تعالى: (وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان) (المائدة: 2). أحبوا لكل أخ من المسلمين ما يحبونه لأنفسهم وبدأوا بإيثار جليسهم وعشيرهم بالخير على أنفسهم كما قال تعالى:(ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة)(الحشرة:9).يجوع الرجل منهم ليشبع أخاه،ويتعب ليريحه،ويسهر لينام أخوه.. لا يقصدون بذلك من الخلق جزاء ولا شكورا كما قال تعالى:(إنما نطعمكم لوجه الله لا نريد منكم جزاء ولا شكورا) (الإنسان: 9). ولهم فى تلك المعاملة مشاهد

روحيـــة ومراقبـــات عـــن عـــين اليقـــين،فهم فى مزيـــد مـــن المســـارعة والتعـاون،لأن الله سـبحانه وتعـالى يـواجههم فى كـل أحـوالهم مواجهـة يقوى بها حالهم وهممهم وإقبالهم ورغبتهم فى الله وما عند الله.

14ـ أن يجلس الجليس يفسح لأخيه عند احتياجه لذلك قبل أن يلتمس يأخوه منه. ومن أكمل الآداب أن الجالس ينزل القادم منزلة من التكرمة خصوصا إذا كان ذا شيبة أو عالما أو صاحب المنزل أو ذا سلطان، فينتحى له عن المجلس المناسب له مع غض البصر وعدم إظهار التفضل عليه.

15ـ أن لا يجلس الرجل على محل تكرمة الرجل فى منزله إلا بعد إذنه له، ولا ينصرف من المجلس حتى يستأذن،لأن كل تلك الآداب تقوى روابط المحبة،وبها ينال العبد رضوان الله تعالى ورضوان رسول الله ﴿ﷺ﴾ ورضاء إخوته المؤمنين.

16ـ أن يتوقى الجالس الغضب ولو حصل له ما يغضب، فإنه ربما غضب بما يغضب فأدى غضبه إلى ما لا يرضى الله ورسوله، وليدفع بالتى هى أحسن كما قال تعالى:(إدفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم)(فصلت:34).

17ـأن يجتهد كل واحد منهم فى أن يدخل السرور على قلوب جميع جلسائه.وإذا جلسوا أو نطق أصغرهم سنا صغوا جميعا إليه

لكمال آدابهم ولطمع أن ينطق بحكمة. وأصغر الناس فى مجالسهم أعظمهم ما دام على الحق وأعظمهم أصغرهم إن وقع فى باطل مع كمال آدابهم، فإن تلك الآداب يبتغون بها وجه الله تعالى، وإذا سمعوا امرأة تتكلم قالوا: أنصتوا عسى أن تنطق بخير. شغلوا بالله سبحانه وتعالى فاتسعت قلوبهم وانشرحت صدورهم ودام أنسهم بالله تعالى، حسن ظنهم فى الله تعالى حتى غلب عليهم حسن الظن،فإذا سمعوا شرا من غيرهم أولوه إلى الخير، وأساءوا ظنهم بأنفسهم.يئسوا من أن ينالهم نفع أو ضر من الخلق فاستوت عندهم حالة الخلق تعظيما واحتقارا وإقبالا وإدبارا.وقاموا بما عليهم من الحقوق لغيرهم ابتغاء مرضاة الله،ولم يطالبوا غيرهم بالحقوق التى هى لأنفسهم كما قال:(المؤمنون هينون لينون) [رواه البيهقى فى شعب الإيمان، وابن المبارك عن مكحول].

وكما قال الله تعالى:(وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما)(الفرقان: 63)

18ـومن آداب المجالسة ما ورد أن بعض بنى أمية جلس فى مجلس أحد خلفائهم فقال:إن الناس يبالغون فى على بن طالب وفى علمه وحكمته،وإنى قد رأيته بالأمس فى النوم ووجدته دون ما يخبرون به عنه.فقال:وماذا رأيت؟ قال: رأيته فنبذته وسببته فعقد لسانه،

وصار يقول:سلاما سلاما، فسبه الخليفة وقال: ما ترك من أكمل الحكمة شيئا.. أراد قوله تعالى: (وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان:63). فهذه حالتهم ولو مع الجاهل فى الرؤيا المنامية. وسب لرجل سيدنا أبا هريرة فقال له: يا هذا إن أغضبت الله فى فإنى أرضى الله فيك. وقال رجل لرجل مرة: يا كافر،فقال له: أشهد أن لا إله إلا الله فقال: يا منافق، فقال: تبت إلى الله ورجعت إلى الله، فقال: أريد أن أغضبك، فقال: من بين لى عيوبى أرضانى.

19ـوآداب المجالسة تتفاوت بحسب مراتب الجالسين، ومجملها أنك إذا جلست مع العالم فأمسك لسانك واصغ، وإذا جلست مع الولى فأمسك قلبك لترد عليك وارادت الحق، وإذا جمع الله الولاية والعلم فى رجل فأمسك قلبك ولسانك،وإذا جلست مع ذى سلطان فجمل له ظاهرك واكتم سره، وألن له الكلام فى النصيحة، وغض بصرك عن حرمه، وإذا جالست العامة فتجنب المزح والمنافسة فى شىء يسارعون إليه، واستخدمهم بما يشرح صدورهم منك إن استطعت، وإذا جلست مع من ليسوا على مذهبك فسلم لهم مذهبهم ولا تعارضهم بمذهبك، فإن مذهبا لا يعارض مذهبا، وإذا سئلت فأجب على قدر السؤال.

20ـ ومن آدابهم أنهم إذا مدحوا فى المجالس شكروا الله الذى أظهر الجميل وستر القبيح، وإذا ذم رجل رجلا من الصوفية قال: اللهم إن كان صادقا فاغفر لى وإن كان كاذبا فاغفر له.. تشبها بأصحاب رسول الله جاء رجل إلى سيدنا ومولانا الحسين بن على عليهما السلام فقال: يا ابن بنت رسول الله إن فلانا سبك أمام الخليفة، فقال: اللهم إن كان صادقا فاغفر لى وإن كان كاذبا فاغفر له.

ومن علم أن أعماله وأقواله وأحواله محصاة عليه وأنه سيسأل عنها بيوم القيامة بخل بأنفاسه أن يصرفها إلا فى طاعة الله. ومن أحب أن يكون كريما عند الله محبوبا لجنابه العلى لا يضره احتقار الخلق له ولا يفرحه تعظيمهم إياه.

والمؤمن يظهر كمال إيمانه فى ثلاثة مواطن: فى البر والصلة بأقاربه، وفى المسارعة إلى عمل ما أوجبه الله، وفى حسن مجالسته ومعاشرته. ومن لم يستطع أن يقهر نفسه لتتجمل بتلك الآداب فالأولى له أن يخدم الدواب سنين حتى يكتسب منها الصبر والتواضع والطاعة ودفع المضرة وجلب المنفعة، ورجل يكون البهيم الأعجم أكمل منه أدبا، هو رجل على مدارج الهاوية.. نعوذ بالله.

آداب رعاية العمال

الرحمة بالعمال هى أم صفات مكارم الأخلاق، لأن معاملة العمال بالحنانة والعاطفة والرفق دليل على رقة القلب وعلم الإنسان بأنه عبد لمولاه، وأن الذى رأسه على هؤلاء قادر أن يجعله أجيرا حقيرا، فيشكر المنعم بالإكرام لعماله، والإحسان إلى المحتاجين بمعونته وإلى القائمين بخدمته، فإنهم شركاؤه فى الإنسانية مشاكلوه فى الآدمية يسرهم ما يسره من الرحمة، فإذا شاهد هذا المشهد حفظ الله عليه النعم، ووسع له الرياسة حتى يجعله سيد أهل عصره وعظيم أهل زمانه، ويزيد على ذلك ما يناله من الفضل العظيم والنعيم المقيم عنده فى دار الخلد فى جوار الله ومعية رسله صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

وتلك المعاملة بأن يحملهم دون طاقتهم، ولا يعاقبهم إذا تساهلوا، بلى يضع نفسه موضعهم وما يحب أن يعامل به يعاملهم به، ويغض بصره عن هفواتهم، ويديم لهم الشر والانشراح والتنشيط حتى يكون عملهم عن قلب مخلص وضمير مستريح، فيفوز بنجاح عمله، ومحبة عماله، وتعزيز جانبه، وحسن السمعة فى الدنيا والمثوبة فى الأخرة. قال ﷺ:(لا تنزع الرحمة إلا من شقى)[رواه الترمذى وأحمد وابن حبان والحاكم]. وقال ﴿ﷺ﴾:(الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء)[رواه أبو داود و الترمذى].

وقال ﷺ: (ليس منا من لم يرحم صغيرنا ويوقر كبيرنا ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر) [رواه الترمذى وأبو داود وأحمد]. وقال ﷺ:(ما من امرىء مسلم يخذل امرا مسلما فى موضع تنتهك فيه حرمته وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موطن يحب فيه نصرته، وما من امرىء مسلم ينصر مسلما فى موضع ينتقص من عرضه وينتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحب فيه نصرته) [رواه أبو داود وأحمد والضياء المقدسى]. وقال ﷺ: (من رأى عورة فسترها كان كمن أحيا موءودة) [رواه البخارى فى الأدب المفرد، وأبو داود والحاكم]. وقال ﷺ: (المجالس بالأمانة إلا ثلاثة مجالس: سفك دم حرام أو فرج حرام أو اقتطاع مال بغير حق) [رواه أبو داود].وقال ﷺ:(إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة: الرجل يفضى إلى امرأته وتقضى إليه وينشر سرها) [رواه مسلم وأحمد وأبو داود].

وقال ﷺ: (إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمط عنه)[رواه الترمذى].وفى روايه:(المؤمن مرآة المؤمن والمؤمن أخو المؤمن يكف عنه ضيعته ويحوطه من ورائه) [رواه أبو داود].. كان أصحاب رسول الله ﷺ يعاملون مواليهم معاملتهم لأبنائهم. كان أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه إذا كان فى سفر ركب ومشى

مولاه، ثم نزل فأركب مولاه ومشى، ثم أنزله ومشى معه وأراح الراحلة. ورأى أمير المؤمنين عمر أبا ذر و معه غلام له عليه حلة أجمل من الحلة التى على أبى ذر، فقال أمير المؤمنين: ما هذا يا أبا ذر؟(كأنه ينفه) فقال:كنت مع رسول الله ﴿ﷺ﴾ ومعى غلام لى أسود فأساء، فقلت له: يا ابن السوداء، فنظر إلى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ مغضبا وقال: (أعيرته بسواده أمه.. إخوانكم خولكم، أطعموهم مما تطعمون وألبسوهم مما تلبسون وحملوهم ما يطيقون)متفق عليه].

كان أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ رحماء بالدواب عن بنى الإنسان، يشهدون عناية الله فى كل ما ينتفعون به، فيخافون الله فى كل شيء، ويطلبون رحمة الله لرحمتكم بعباده، وبذلك مكن الله لهم فى الأرض وأعلى بهم كلمته وأحيا بهم سنته وأذل لهم فراعنة الأرض وقياصرتها لأنهم تخلقوا بأخلاق الله تعالى، فكانوا رضى الله عنهم رحماء حكماء حلماء علماء، نظروا إلى من ولاهم الله عليهم نظر رحمة وحنانة، وشكروا الله على نعمته فأنزلوا الكبير منزلة الوالد، والصغير منزلة الأبن، والمساوى منزلة الأخ، وقاموا لكل واحد بما يجب له عليهم، غير مشددين فى طلب ما لهم من الواجب، فصفقت قلوب الموالى وزكت أنفسهم ورضى الله عن الجميع.

وأهل الفرقة الناجية يجاهدوا أنفسهم ليتشبهوا بأصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ فى كل أحوالهم. وكم من عامل كان يسىء الخلق مع رئيسه ولا يرى منه إلا اللطف والرفق والشفقة، فيسأل فيقول أنا أحق بحسن الخلق منه شكرا لله على ما تفضل به عليه. وسوء الخلق سبب فى زوال النعمة ونزول النقمة.. نعوذ بالله من سوء الخلق...

آداب صلة الأرحام

قيل لرسول الله ﴿ﷺ﴾ أى الناس أفضل؟ قال:(أتقاهم لله وأوصلهم لرحمه وآمرهم بالمعروف وأنهاهم عن المنكر)[رواه البخارى ومسلم]. وقال ﴿ﷺ﴾: (أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن ظلمك) [رواه الطبرانى والخطيب والحاكم]. هذه الصلة توصلك إلى الله تعالى وإلى الناس، وتقربك من الخالق وخلقه، وبها تجد لك ظهيرا من الله ومن عباده، ويمن الله بها عليك بالبر من حضرته العلية ومن جميع خلقه، ويتعطف عليك بتلك العاطفة قلوب العالم أجمع، فتكون بذلك سيدا مطاعا فى أقاربك،ووالدا رحيما لآلك، بها تكون متخلقا بأخلاق الرسل عليهم الصلاة والسلام، معانا عند الشدة، منصورا عند المخاصمة، فتعيش سعيدا بيسير تبديه وقليل من فضلك توليه، وتكون لك اليد العليا والمقام الأعلى، فما أقل ما تصل به وأعظم ما يصل إليك.

والصوفية يحرصون أن يكونوا كأصحاب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ ولكن من أين لهم ذلك؟! وإن أصحاب رسول الله ﴿ﷺ﴾ وصلوا أرحاما كانت كافرة، وأبروا أهل الشرك تخلقا بأخلاق الله تعالى وأخلاق رسوله ﴿ﷺ﴾. واقتداء بسيدنا ومولانا

رسول الله ﴿ﷺ﴾ فإنه أبر حليمه السعديه قبل إسلامها.والصوفية والصوفية إنما يصلون أو يبرون إخوة مؤمنين وآباء مؤمنين لهم حق الإسلام وحق.

الآداب للوالدين

لست فى مقام تقرير حقيقة خفية ولكنها ثابتة شرعا وعقلاء وجلية تؤثر على القلوب والحواس تأثيرا يؤدى إلى الانفعال النفسانى والجسمانى بالعواطف والاعتقاد والانقياد وبالغيرة والحمية. ما لى وللتكلم فى واجب فطرت على مراعاته النفوس الكريمة، وجبلت على القيام به العقول السليمة، حتى صار من المقرر عقلا وعادة أن الوالد إذا لم يقم لوالديه فيما من شأنه أن يقوم به أهل العواطف ظلم أمه.

سمعت أن بعض أولياء الله المتوسمين جلس فى مجلس فرأى رجلا يؤذى والده، فذم الناس أم العاق، فقال الولى: الوالد من ظهر أبيه إلا أن أباه كان كثيرا الحلف بالطلاق. يظهر من هذا أن المرأة إذا حفظت فرجها وحفظ الرجل لسانه من يمين الفسق وبطنه من الحرام رزقه الله بأولاد بررة يكونون له كعينيه ويديه ورجليه. وبعيشك أيها الأخ هل تتصور أن إنسانا عاقلا يتوهم أن اليد اليمنى تضر اليسرى أو

تضر الرأس أو العين وهى جزء من الجسد ؟ لا أشك أنك تقول: لا أتصور ذلك. إذن كيف تتصور أن خلاصة الجسد وصورته الحقيقية بل وثمرة شجرته تؤذى الأصل، إلا أن تكون من أصل آخر لا يجمعها عليه أصول دانية ولا عالية.

والوالد والوالدة هما مظهرا الشفقة والرحمة والحنان والبر والإمداد والإيجاد الإلهى، لذلك فقد أوجب الله شكرا لهما، وجعل رسول الله ﴿ﷺ﴾: الجنة تحت أقدام الأمهات، وجعل الوالد على باب الجنة. قال الله سبحانه وتعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) (النساء: 36). قال الله تعالى:(قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم أن لا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا) (الأنعام: 151). وقال تعالى: (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسان ا) (الإسراء:23). وقال تعالى: (ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير) (لقمان: 14). وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق بحسن صحابتى أو صحبتى ؟ قال: (أمك ثم أمك ثم أمك ثم أبوك) [رواه البخارى ومسلم والترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد]. وقال:(رغم أنفه رغم أنفه، قيل: من يا رسول الله ؟ قال: من أدرك والديه عنده الكبر أحداهما أوكليهما ثم لم يدخل الجنة)

[رواه مسلم وأحمد]. وعن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما أنها قالت: (قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد قريش فقلت: يا رسول الله إن أمى قدمت على وهى راغبة أفاصلها؟، قال: صليها) [رواه أبو داود وأحمد].. وفى الحديث الحسن عن رسول الله ﴿ﷺ﴾ أنه قال: (رضا الرب فى رضا الوالد وسخط الرب فى سخط الوالد) [رواه الترمذى].وعن أبي الدرداء رضى الله عنه أنه قال: سمعت النبى ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ يقول:(الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئت فحافظ على الباب أو ضيع) [رواه الترمذى]. وقال ﴿ﷺ﴾ (بر الوالدين أفضل من الصلاة والصدقة والصوم والحج والعمرة والجهاد فى سبيل الله) [رواه ابن أبى شيبة]. وقال ﴿ﷺ﴾: (من أصبح مرضيا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى الجنة، ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحدا فواحد، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما، ومن أصبح مسخطا لأبويه أصبح له بابان مفتوحان إلى النار، ومن أمسى فمثل ذلك، وإن كان واحد فواحد، وإن ظلما وإن ظلما وإن ظلما) [رواه ابن عساكر]. وقال ﴿ﷺ﴾: (إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم) [رواه النسائى والدرامى وأحمد].

هـذه الآيات القرآنيـة والأحاديـث الشـريفة قـد بينـت لنـا حقـوق الوالـدين، وشرحت لنـا مقـدار السـعادة الـتى ينالها الولـد ببرهما والشقاء الذى يناله العاق.

آداب بر الوالدين فى حياتهما

ومـن الآداب للوالـدين أن تبـذل مالـك وتحفـظ مالهمـا، وتأكل بعد أكلهما، وتنام بعد نومهما، وتلبس بعد لبسهما، وتجتهد أن تعمـل مـا يسـرهما ولـو كـانا كـافرين، وعليـك أن لا تخالفهمـا إلا إن جاهداك على أن تشرك بالله ما ليس لك به علم فالواجب عليك أن لا تطيعهما كما قال تعالى: (وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لـك بـه علـم فـلا تطعهمـا وصـاحبهما فالـدنيا معروفـا واتبـع مـن أناب إلى) (لقمـان:15). وإياك أن يدفعك الطمع فتوفر مـا لـك وتنفـق مـن مالهما، أو تأخذ من مالهما شيئا تدخره لنفسك أو لأولادك، أو تحمل امرأتـك بشـىء لم تحمـل بـه والـدتك، فـإن ذلـك عقـوق تعـذب بـه يـوم القيامة، وتعاقب به فى الـدنيا بعقـوق أولادك لـك. وكـن علـى يقـين أن برك لوالديك سعادة لك فى الدنيا بالعافية فى بدنك والنسيئة فى عمرك والوسـعة فى رزقـك ونجابـة أولادك وسـرورك بهـم، ولـو تحققـت ذلـك يـا

أخى لبذلت النفس والنفيس فى إدخال السرور على والديك، فإنك لا تدرى متى يفارقانك.

وأكمل الآداب أن الصغير لا يطلب من والديه شيئا إلا إذا احتاج إليه وعجز عن نيله بنفسه، فإن أعطى له ما طلب شكر وفرح، وإن أعطى له دون ما طلب قبل بدون أن يظهر ما لا يرضى من علامات الحزن أو الكلام. وعليه أن يسارع فى بذل ما فى يده لإخوته ليرضى والديه، وأن يحفظ لإخوته ما معهم. وعليه أن يسارع إلى طاعة الوالدين وخدمتهما وتنفيذ أوامرهما والعمل بوصاياهما، ويجتهد ألا يأكل إلا بعد أكلهما، ولا ينام إلا بعد نومهما، ويستيقظ قبل قيامهما ليتولى خدمتهما، ويمشى أمامهما ليلا ليقيمهما، ووراءهما نهارا تواضعا، وأن يعادى عدوهما ويواصل حبيبهما ما لم يكن إثما، و يجعل أوقات فراغه كلها فى مراقبتهما حتى ينال بذلك صالح الدعاء منهما بالحب الخالص، ليكون ذلك رقيا عند الله وفوزا وسعادة.

ومن الآداب ألا يكون سببا فى تكبير صفو والديه بعمل ما يكرهانه فى المنزل وخاجه، وإن كان الوالد له زوجة أخرى فإن حقه لا يسقط عن الولد بزواجه غير أمه، فيجب عليه ألا يدعوه غضبه لأمه أن يسقط الحق الواجب عليه لوالده، فإن رضاء الوالدة فى غضب والده مما يوجب مقت الله تعالى، بل يلاحظ حقوق والدته وزوال ما

فى نفسها من الحزن، ويقوم لوالده بحقوقه مختفيا عن والدته، حتى لا يغير قلب واحد منهما عليه، وهذه الكمالات النفسية. إذا قصر الوالد فى القيام بشئون ولده فمن الأدب أن يرجع الولد باللوم على نفسه وأن يتجمل لوالده بما يعيد له الرحمة الأولى، فإن رحمة الوالدين لا تنكر ولا يسلبها من القلب إلا عمل قبيح يحصل من الولد ربما لجهله يراه حسنا منه. قد يكون الوالد سخيا وصالا لأقاربه، فيكره ابنه ذلك ويظاهره فتنزع رحمة الولد من قلبه، وقد يكون الوالد ميالا للزواج فيكره الولد منه ذلك لجهالته، والأدب يقضى على الولد يتجمل لوالده بكل أنواع الجمال، و يطيعه إلا إذا أمره بإثم فإنه يعتذر إليه.

أيها الولد الذى جعل الرحمة تنزع من قلب والده بقسوة وجفوة: لا بد أن يكون من عملك فى ذات والدك، أو سوء معاملة لزوجته أو من يحب. أنا أعتقد أن النساء يبغضن أولاد الرجال ويسعين لكيدهن، ولكن الحكيم العاقل البار يتجمل بأنواع الجمالات لوالده ولزوجة والده ولأحباب والده من التواضع والخدمة والمسارعة إلى عمل ما يسر، وإظهار الإخلاص، وذكر ما قل من أعمال البر ونسيان ما عظم من أعمال الشر. ولا أشك أن من تخلق بتلك الأخلاق الفته الوحوش فضلا عن الولد وزوجته.

يا بنى: لا خلاص لك من شرور الدنيا وعذاب الآخرة إلا بتحمل أصعب الصعوبات وأشد الشدائد فى نيل رضاء والديك، والتأدب لهما بما يليق بهما. وإن نفسا واحدا ترى نفسك لا تتحمل تلك الشدائد فتعادى والديك يكون من فعل ذلك سجل على نفسه الشقاء.

لو تصورت يا أخى كيف كانا يفرحان بك صغيرا، ويبذلان نفائس أموالهما لسرورك، وكيف تحملت والدتك فى حملك ورضائك وفى تمريضك وما تحمله والدك فى تربيتك... لبذلت وسعك لتسرهما ونكرمهما ليموتا راضيين عنك داعيين لك، وتعيش بعدهما مطمئن القلب بأنك ستنال الخير ببركة دعائهما، والذرية الصالحة البارة ببركة رضاهما مع ما يحصل لك من البهجة والسرور عندما تتذكر أنك أحسنت إلى والديك، وأن الله سبحانه وتعالى سيدخلك الجنة مع الأبرار البارين، تلك البهجة يا أخى خير من الدنيا وما فيها.

وأظنك تقول يا أخى: أبنائى وزوجتى. أنت مسكين لا تعلم أرزقت بهم ليكونوا لك خيرا فى الدنيا والأخرة أو شقاء لوالديهما فى الدنيا والآخرة، فكيف يا أخى تترك الأمر الجلى البيئة سعادته، وهو بر والديك الذين أحسنا إليك، وأوجب الله عليك أن تقوم لهما بالإحسان وتجنهد فى الأمر المشكوك فيه الذى لا تعلم عاقبته، وهو

أن تـدخر لأبنائـك وتهمـل الحقـوق الواجبـة لوالـديك ؟!! أعـاذنا الله وإياك يا أخى مما يوجب المقت والسخط. ولو أنك ادخرت لأبنائك نفسا عالية ترفعهم عـن سفاسـف الأمـور، وعقـلا ذكيـا يعقلهـم عـن مهـاوى المقـت، وخلقـا جميلا حسـنا تحسـن بهـم معاشـرتهم لأرحـامهم وأقاربهم، وكنزا من الدين يمنحهم الله به من السعادة فى الدنيا والآخرة، لكان خيرا من نفائس الأموال وكنوز الذهب والفضة.

بر الوالدين بعد موتهم

ومـن بـر الوالـدين بعـد موتهمـا: الاستغفار لهمـا، والصـلاة عليهمـا، وصلة الأرحام التى تدلى إليهمـا، وإنفـاذ عهـدهما من بعدهما، وإكرام صديقهما. قال مالك بن ربيعة: بينما نحن عند رسول الله إذ جاءه رجل من بنى سلمة فقـال: يا رسول الله هـل بقـى علـى مـن بـر أبـوى شـىء أبرهمـا بـه بعـد وفاتهمـا ؟ قال:(نعم..الصـلاة عليهمـا والاستغفار لهما وإنفاذ عهدهما وإكرام صديقهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما) [رواه أبو داود وابن ماجه وأحمد].

ومـن إكرامهمـا فى حياتهمـا أن تـبر يمينهمـا، فـترى الفاسـق الغوى إذا مات والده أو أحدهما دعاء الطمع الأشعبى والغرور بالدنيا ونسيان يوم الحساب أن يقوم فيحارب إخوته وأخواته، ويعتقد أنه لا

عدو له فى الأرض إلا أبناء والديه، ما ذلك إلا لأن الجهل أنزل المال عنده منزلة الإله المعبود الذى يأمره فيطيعه، ومن الضلال من يسلط الناس على إخوته الأشقاء أو أبناء العلات ليستريح من منافستهم له فى هذا العرض الزائل. ولعمرى إن هذا العمل لا يعمله رجل من أهل الجنة ولا من ذاق حلاوة الإيمان. كن يا أخى على يقين أنك إن بررت والديك بعد موتهما بصلة أرحامهما أن الله تعالى يبارك لك بركة تدوم لك حتى تكون فى الفردوس الأعلى. ومن اعتز بمال يفنى وملك يزول ورياسة تتحول ورياش يبلى، واستعان بأهل الزور والبهتان فقطع أرحامه ليكثر ماله فرحا بالمال والسيادة والرياسة.. كان كمن عرضه نفسه لشقاء الدنيا، فإن قطيعة الرحم تعجل عقوبتها فى الدنيا، خصوصا وأن قطيعة الرحم عقوق للوالدين، وعقوق الوالدين موجب لسوء الخاتمة نعوذ بالله.

والأرحام فى الأصل كل من ذلك به قرابة توصلها بك أمك نسبة للرحم، ولكن العرف الشرعى أطلق اللفظ وجعلها عامة لكل من لك به قرابة تدلى إلى أمك وأبيك. وجعل قرابة الأم أولى بحسن العاطفة وإن كان للعصية تأثير على النعرة بالنسب والحمية للقرابة. فابدأ أيها الأخ أيدك الله بالتوفيق بصلة أرحامك، معتقدا أن ذلك سعادة لك فى الدنيا والآخرة، وليكن ذلك بقدر استطاعتك،

وابدأ بنفسك ثم بمن تعول. ومن يدفعه الأمل إلى الطمع فيصر فى حقوق الصلة فيحتال فى سلب ما فى أيديهم فيكون قد ارتكب جريمتين: جريمة التلصص وجريمة قطيعة الرحم، واللص الذى يتلصص على الأجنبى أقل وزرا منه. كيف يكون سرورك أيها الأخ إذا أنت أكرمت إخوتك وأقاربك وتحققت أن الله تعالى يكرمك فى الدنيا بأن يجعل فى قلوب أبنائك الرحمة والعاطفة بعضهم لبعض، وشهدت ذلك فى حياتك وانتقلت إلى الدار الآخرة شاكرا ربك على ما وهب لهم من التعاطف والتواصل والتآلف والمساعدة والمسارعة إلى جلب الخير لبعضهم ودفع الضر عن بعضهم، وانتقلت إلى البرزخ فوجدت قبرك روضة من رياض الجنة فكمل سرورك وتمت بهجتك. ثم انظر يا أخى للعاق لوالديه القاطع لرحمه كيف تصب عليه البلايا فى الدنيا صبا بكثرة القضايا والخصومات، ثم يجعل الله له أبناء فجرة يبددون ما جمع فى حياته، وينغصون عيشته بما يقع بينهم من الخصومات والعداوة، وما يناله من قبيح أعمالهم من الناس حتى يتمنى أنه لم يكن تزوج، وأنه يوجد فى الدنيا فيعيش طول عمره فى شقاء وكبائر حتى يفارق الدنيا، فينتقل من ألام بدنية فكرية إلى حفرة من حفر النار . نعوذ بالله من قطيعة الأرحام . ولا يصبر أبناؤه حتى يواروه فى التراب بل تقع بينهم المنازعات والمخاصمات، وربما تلاكموا وتضاربوا بالعصى وتزاحموا على

تفتيش الحجرة التى هو فيها، وربما وطئوه بالنعال وهو ملقى بينهم، وهم الذين كان يسهر ليجمع لهم ويخاصم أقاربه ليجدد لهم. انظر يا أخى بعينك عاقبة هذا الأمل ونتائج هذا الطمع.

صل رحمك يا أخى ليرحمك الرحمن، وأكرم أقاربك ليقربك القريب، وبر والديك ليبرك البر الودود، قال تعالى:(وبالوالدين إحسانا وبذى القربى)(النساء:36). وقال سبحانه:(فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم)(مُحَمَّد:22). وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ (من أحب أن يبسط له فى رزقه وينسأ له فى عمره فليصل رحمه) [رواه البخارى ومسلم وأبو داود والنسائى وأحمد].

ومن الآداب الواجبة عليك لوالديك أن تبر أهل ود أبيك ممن كان يودهم ويحبهم. ولا تتشبه بمن أبعدهم الله عن أعمال الخير الذين إن تمكنوا أساءوا أهل ود والديهم، قد يكون للرجل ولد سيىء الأدب ويكون والده متزوجا امرأة غير أمه وتكون محظية عنده محبوبة لديه، ولم ترزق من أبيه بأولاد، فإذا مات أبوه قام فجعلها أعدى أعدائه وشر ألدائه ولم يراع حقوق والده. وقد يكون للولد عامل مخلص فى عمله محافظ على أمواله، ويكون الولد مسرفا فيشدد عليه العامل وهو صادق أمين، فإذا تمكن المسرف من المال أو الميراث حارب العامل الصدوق الأمين وطرده من عمله ولم يراع حقوق والده.

وقد ورد عن سيدنا عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه كان راكبا على جمل فمر به أعرابى، فنزل عن الجمل وقابله وحياه، ثم أخذ بزمام الجمل وأعطاه إياه وانصرف، فقيل له: ما هذا ؟ قال: هذا الرجل كان يضحك والدى كلما رآه، فأحببت أن أبر والدى بإكرام من كان يضحك والدى لرؤيته. وهكذا فليكن البر.. ومن هذا الإمام يؤخذ. فقم يا أخى بإكرام أهل ود أبيك لتكون بارا، وكن على يقين أنك تفوز بالمسرات فى الدنيا والسعادة فى الآخرة. والله تعالى يمنحنى وإياك التوفيق لما يحب ويرضى.

نصيحة للأبناء

يا بنى: لا تجهل من أنت، ولا ما يجب عليك، ولا ما يجب لك، لعلك يا بنى تظن أنك بما تجده من عواطف أمك وأبيك، ومن حرصها على سرورك وخيرك، ومن بذل نفائس أموالهما فيما فيه راحة بدنك وزيادة صحتك أن ذلك واجب عليهما، أو حق لازم عليهما لك، فتجهل قدرك وتنسى قدر النعمة عليك من ربك، فتقوم مطالبا بحقوق توهمتها لم يوجبها الشرع ولم يستحسنها العقل، فتكلف والدتك بخدمتك، أو تغضب عليها إن

تهاونت بشأنك، أو تأبى أن تلبس أو تأكل ما قدم لك، أو تستقل ما أكرماك به، فتكون كالفراش الذى يطوف حول النار لا يرضى بضوئها وحرارتها حتى يسقط فى لهيبها. أسرع بأن تعلم منزلتك، وأنب إلى ربك تائبا، وإلى والديك متذللا متملقا. لم يبذلا ما بذلا من المال والنفس لواجب عليهما، بل لأنك شجرتهما ومرآة حقيقتهما، فإن نظرت بنظر الابن للوالدين نظر تعظيم وإطاعة لأمرهما وحب لهما ورغبة فى نيل رضاهما، من الله عليك بأن جعل عاطفتهما عليك فى مزيد، وجعلك لهما ظهيرا ونصيرا بعد كبرك، فتكون لهما ولدا شفيقا

ويكونان لك كوالدين رحيمين، وتكون قد قمت بالواجب عليك لله ولرسوله ﷺ وللوالدين.

إذا من الله عليك بأن جعلك غنيا عن شرار خلقه عالما،فكن رجلا خارج المنزل، فإذا دخلت على والديك فكن طفلا كما كنت أولا، عبدا كما كنت سابقا تملك ولا تملك، وأجعلها يدبران لك شأن داخليتك وإن أخطأ، وحسن شأن خارجيتك فإنك لا تدرى متى يأتيهما الموت.

لعلك يا بنى إذ تزوجت صارت زوجتك أحب إليك من أبيك وأمك وإخوتك، وهى إنما رضيت بك لأنك قوى سوى غنى، ولو ذهبت صفة لمن تلك الصفات ذهبت معها وكانت حربا على زوجها، فاصحب زوجتك على حذر منها، وكن عبد الله مطيعا لوالديك.

يا بنى: بعض الضالين الذين حرموا الكمالات الإنسانية يتهاون بشأن والديه ويعتنى بشأن وزجته.. أعوذ بالله أن أكون منهم أو تكون منهم، فإنهم عبيد لشهواتهم وعباد الدراهم والدنانير أقرب للبهيمة منهم إلى الإنسانية.

انظر إلى والديك تراك غصن شجرتهما وصورة حقيقتهما وخلاصة حياتهما، فلا تعبد يا بنى شهوتك وتكفر بربك سبحانه

وتعـق والـديك، واجعـل والـديك فى أعلـى مراتـب مـن قلبـك، وقـم لزوجتك بما فرض الله تعالى عليك وبما سنة رسول الله ﷺ، ولا تنس الفضل بينك وبينها، ولا تجعلها لعله يجمع المال ويحرم منه أرحامه ثم تحوزه الزوجة وتنفقه على زوج أجنبى.

أحب يا بنى زوجة أبيك، وإن كانت لوالدتك بر بوالدك، إلا إن توفيـت والـدتك فاجعلهـا فى منزلتهـا، وأحـب إخوتـك منهـا كحبك لإخوتك، واجعلهم لك أنصارا وأعوانا وكنوزا وجمالا لتكون كثيرا بهم.

اجتهد يا بنى إن كان ورثك والدك مجدا وشرفا أن تحافظ على ميراث والدك، وأن تجتهد فى أن تزيده وتنميه ليحيا والدك. واعلم يا بنى أن بعض أهل الغواية الأنذال المفسدين الذين هم مرض فى جسم الأسر يتمنى الخبيث منهم أن يموت والده ليرث مال، فإذا مات والده قام فبذل المال فى شهواته وحظوظه حتى إذا لم يبق فى يده ما يستعين به ندم ولات حين مندم، فتمنى أن والده عاش له بعد أن أحوجته الضرورة إلى خدمة من كان خادما عنده أو ارتكب ما به يحشر إلى السجون. وإلى هنا أقول لك: أيها الولد البار: اجتهد فى صحبة العلماء العاملين، ودوام على مجالسة الأتقياء الصالحين وتعلم منهم وتشبه بهم، والله يتولانى وإياك.. إنه ولى المؤمنين.

الآداب مع الزوجة

الأول: حسن الخلق معهن، واحتمال الأذى منهن، ترحما عليهن لقصور عقلهن:

قال الله تعالى: (وعاشروهن بالمعروف) (النساء:19). وقال فى لتعظيم حقهن:(وأخذن منكم ميثاقا غليظا) (النساء:21). وقال تعالى: (والصاحب بالجنب)(النساء:36). قيل هى المرأة. وآخر ما وصى به رسول الله ﷺ ثلاث كان يتكلم بهن حتى خفى كلامه، جعل يقول (الصلاة الصلاة، وما ملكت أيمانكم لا تكلفوهم ما لا يطيقون. الله الله فى النساء، فإنهن عوان فى أيديكم(يعنى أسراء)، أخذتموهن بأمانة الله، واستحللتم فروجهن بكلمة الله) [رواه النسائى

وابن ماجه]. وقال:(من صبر على سوء خلق امرأته أعطاه الله من الأجر مثل ما أعطى أيوب على بلائه، ومن صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثل ثواب آسية امرأة فرعون).

واعلم أنه ليس حسن الخلق معها كف الأذى عنها بل احتمال الأذى منها، والحلم عند طيشها وغضبها اقتداء برسول الله ﴿ﷺ﴾ فقد كانت أزواجه تراجعنه الكلام وتهجره الواحدة منهن يوما إلى الليل. وراجعن امرأة عمر ﴿ﷺ﴾ عمر فى الكلام فقال: أتراجعيني يا لكعاء . قالت: إن أزواج رسول الله ﴿ﷺ﴾ يراجعنه وهو خير منك، فقال عمر: خابت حفصة وخسرت إن راجعنه، ثم قال لحفصة: لا تغترى بابنة ابن أبي قحاقة.. فإنها حب رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ وخوفها من المراجعة. وروى أن إحداهن دفعت فى صدر رسول الله، فزجتها أمها، فقال ﴿ﷺ﴾: (دعيها فإنهن يصنعن أكثر من ذلك) وجرى بينه وبين عائشة كلام حتى أدخلا بينهما أبا بكر رضى الله عنه حكما واستشهده، فقال لها رسول الله:(تتكلمين أو أتكلم؟) فقالت: بل تكلم أنت ولا تقل إلا حقا، فلطمها أبو بكر حتى دمى فوها وقال: يا عدوة نفسها أو يقول غير الحق ؟ فاستجارت برسول الله وقعدت خلف ظهره، فقال له النبى ﴿ﷺ﴾: (لم ندعك لهذا ولا أردنا منك هذا). وقالت له مرة فى كلام

غضبت عنده ؛ أنت الذى تزعم أنك نبى الله، فتبسم رسول الله واحتمل ذلك حلما وكرما. وكان يقول لها: (إنى لأعلم إذا كنت عنى راضية وإذا كنت عنى غضبى) فقالت: من أين تعرف ذلك ؟ فقال ﴿ﷺ﴾:(إذا كنت عنى راضية تقولين: لا ورب مُحَمَّد، وإذا كنت عنى غضبى قلت: لا لا ورب إبراهيم) قالت قلت: أجل والله يا رسول الله ما أهجر إلا إسمك. عن أبى هريرة رضى الله عنه قال: قال رسول الله ﴿ﷺ﴾:(استوصوا بالنساء خيرا فإنهن خلقن من ضلع وإن أعوج شىء فى الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته وإن تركته لم يزل أعوجا) [رواه البخارى ومسلم والترمذى وابن ماجه]. وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾:(إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة، فإن استمتعت بها استمتعت وبها عوج، وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها)[رواه البخارى ومسلم والترمذى والدرامى وأحمد]. وقال رسول الله ﴿ﷺ وآله﴾ فى خطبه حجة الوداع: (اتقوا الله فى النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولكم عليهن ألا يواطئن فرشكم أحدا تكرهونه، فإن فعلن فاضربوهن ضربا غير مبرح ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف) [رواه أبو داود وابن ماجه والدرامى وأحمد].

وعن أنس رضى الله عنه: آل رسول الله ﷺ من نسائه وكانت انفكت رجله، فأقام فى مشربة تسع وعشرين ليلة ثم نزل، فقالوا:يا رسول الله آليت شهرا، فقال: إن الشهر يكون تسعا وعشرين [رواه البخارى والترمذى والنسائى]. وقال جابر: عزلهم شهرا أو تسعا وعشرين ثم نزلت هذه الآية:(يا أيها النبى قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن وأسرحكن سراحا جميلا وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجرا عظيما)(الأحزاب:28). فبدأ بعائشة رضى الله عنها وقال: (يا عائشة إنى أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تعجلى فيه حتى تستشيرى أبويك، فقالت: وما هو يا رسول الله ؟ فتلا عليها الآية، فقالت: أفيك يا رسول الله أستشير أبوى؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة، وأسألك أن لا تخبر امرأة من نسائك بالذى قلت، لا تسألنى امرأة منهن إلا أخبرتها أن الله تعالى لم يبعثنى معنتا ولا متعتنا ولكن بعثنى معلما ميسرا)...

وقالت عائشة رضى الله عنها: كنت أغار على اللائى وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، فقلت: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله عز وجل: (ترجى من تشاء منهن وتؤوى إليك من تشاء ومن ابتغيت ممن عزلت فلا جناح عليك) (الأحزاب:51). قلت: ما أرى

ربك إلا يسرع فى هواك. عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: قال رسول الله ﷺ: (خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلى) [رواه الطبرانى فى الكبير]. وعن أنس أنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:(المرأة إذا صلت خمسها وصامت شهرها وأحصنت فرجها وأطاعت بعلها فلتدخل من أى أبواب الجنة شاءت) [رواه أحمد]. وقال ﷺ: (لو كنت أمرا أحدا أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها) [رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وأحمد].. وقال ﷺ: (أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة) [رواه الترمذى وابن ماجه] وقال رسول الله ﷺ:(إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت فبات غضبان لعنتها الملائكة حتى تصبح) [رواه البخارى وأبو داود]. وفى رواية:(إلا كان الذى فى السماء ساخطا عليها حتى يرضى عنها). وقال أنس رضى الله عنه: كان رسول الله أرحم الناس بالنساء والصبيان.

الثانى: أن يزيد على احتمال الأذى بالمداعبة والمزاح والملاعبة، فهى التى تطيب قلوب النساء:

وقد كان رسول الله ﷺ يمزح معهن وينزل إلى درجات عقولهن فى الأعمال والأخلاق، حتى روى أنه ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ كان يسابق عائشة فى العدو فسبقته يوما وسبقها فى

بعض الأيام، فقال ﴿ﷺ﴾: هذه بتلك. وفى الخبر أنه كان﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ من أفكه الناس مع نسائه، وقالت عائشة رضى الله عنها: كنت ألعب بالبنات عند النبى ﴿ﷺ﴾ وكان لى صواحب يلعبن معى، فكان رسول الله ﴿ﷺ﴾ إذا دخل يتقنعن منه فيسر بهن فيلعبن معى. وقالت عائشة رضى الله عنها: سمعت أناس من الحبشة وغيرهم وهم يلعبون فى يوم عاشوراء فقال لى رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: أتحبين أن ترى لعبهن ؟ قالت قلت: نعم، فأرسل إليهم فجاءوا وقام رسول الله ﴿ﷺ﴾ بين البابين فوضع كفه على الباب ومد يده ووضعت ذقنى على يده وجعلوا يلعبون وأنظر، وجعل رسول الله يقول: حسبك، وأقول: اسكت،مرتين أو ثلاثا،ثم قال:يا عائشة حسبك، فقلت: نعم، فأشار إليهم فانصرفوا، فقال رسول الله ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: (أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا وألطفهم بأهله) [رواه أبو داود وأحمد]. وقال ﴿ﷺ﴾: (خيركم خيركم لنسائه وأنا خيركم لنسائى) [رواه ابن ماجه والترمذى]. وقال عمر رضى الله عنه مع شدته: ينبغى للرجل أن يكون فى أهله مثل الصبى، فإذا التمسوا ما عنده وجد رجلا. وفى الخبر إن الله تعالى ببغض الجعظرى الجواظ (قيل هو الشديد على أهله المتكبر فى نفسه) وهو أحد ما قيل فى معنى قوله: (عتل) قيل: العتل هو الفظ اللسان الغليظ القلب على

أهلـه، وقـال ﷺ لجـابر: (هـلا بكـرا تلاعبهـا وتلاعبـك) [رواه البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والدرامى وأحمد].

الثالـث: ألا ينبسـط فى الدعابة وحسـن الخلق والموافقـة باتباع هواها إلى حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية هيبته عندها:

بـل يراعـى الاعتـدال فيـه، فـلا يـدع الهيبـة والانقبـاض مهمـا رأى منكـرا، ولا يفـتح باب المسـاعدة على المنكـرات البتـة، بـل مهمـا رأى ما يخالف الشرع والمروءة تنمر وامتعض. قال سيدنا الحسن رضى الله عنه: والله مـا أصبح رجـل يطيع امرأتـه فيمـا تهـوى إلا كبـه الله فى النـار، وقال ﷺ: (تعس عبد الزوجة) [رواه البخارى وابن ماجه]. وإنما قـال ذلـك لأنـه إذا أطاعهـا فى هواهـا فهـو عبـدهـا، فإن أرسلت عنانها قليلا جمحت بك طويلا، وإن أرخيت عذارها فترا جذبتك ذراعا، وإن كبحتهـا وشـددت يـدك عليهـا فى محـل الشـدة ملكتهـا. فينبغـى أن تسلك سبيل الاقتصاد فى المخالفة والموافقة، وتتبع الحق فى جميع ذلك لتسـلم مـن شـرهن فـإن كيـدهن عظـيم، والغالـب عليهن سـوء الخلـق وركاكـة العقـل، ولا يعتدل ذلـك منهن إلا بنوع لطف ممزوج بسياسة، وقـال ﷺ: (مثل المرأة الصـالحة فى النسـاء كمثـل الغراب الأعصم بـين مائـة غـراب . والأعصـم يعنـى الأبيض البطـن) [رواه الطبرانى فى الكبـير]. وقـال ﷺ: (لا يفلـح قـوم تملكهـم امـرأة) [رواه البخـارى

والنسائى وأحمد]. فالخشونة والسياسة علاج الشر، والمطايبة والرحمة علاج الضعف، فلينظر الرجل أولا إلى أخلاقها بالتجربة ثم ليعاملها بما يصلحها كما يقتضيه حالها.

الرابع: الاعتدال فى الغيرة:

وهو ألا يتغافل عن مبادىء الأمور التى تخشى غوائلها، ولا يبالغ فى إساءة الظن والتعنت وتجسس البواطن، فقد نهى رسول الله ﴿ﷺ﴾ أن تتبع عورات النساء، وقال﴿ﷺ﴾: (إن من الغيرة غيرة يبغضها الله وهى غيرة الرجل على أهله من غير ريبة) [رواه أبو داود والنسائى وابن ماجه والدرامى وأحمد]. لأن ذلك من سوء الظن المنهى عنه، أما الغيرة فى محلها فلا بد منها وهى محمودة، وقال﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: (إن الله تعالى يغار والمؤمن يغار وغيرة الله أن يأتى الرجل ما حرم عليه) [رواه مسلم والترمذى وأحمد] وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾: (أتعجبون من غيرة سعد ؟!أنا والله أغير منه، والله أغير منى) [رواه البخارى ومسلم والدرامى وأحمد]. ولأجل غيرة الله تعالى حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحد أحب إليه العذر من الله تعالى، ولذلك بعث المنذرين والمبشرين. ولا أحد أحب إليه المدح من الله ولأجل ذلك وعد الجنة، وقال عليه الصلاة والسلام

لابنته فاطمة عليها السلام:(أى شىء خير للمرأة ؟ قالت: ألا ترى رجلا ولا يراها رجل، فضمها إليه وقال: ذرية بعضها من بعض).

الخامس: الاعتدال فى النفقة:

فلا ينبغى أن يقتز عليهن فى الإنفاق، ولا ينبغى أن يسرف بل يقتصد، قال الله تعالى:(كلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين) (الأعراف:31). وقال تعالى: (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط) (الإسراء:29). وقال ﴿صلى الله عليه وآله وسلم﴾ (دينار أنفقته فى سبيل الله ودينار أنفقته فى رقبة، ودينار تصدقت به على مسكين، ودينار أنفقته على أهلك، أعظمها أجرا الذى أنفقته على أهلك) [رواه أحمد وابن ماجه]. ولا ينبغى أن يستأثر على أهله بمأكول طيب فلا يطعمهم منه، فإن ذلك مما يوغر الصدور ويبعد عن المعاشرة بالمعروف.

(تم بحمد الله وتوفيقه)